MERS
MIDDLE EAST RESEARCH AND STUDIES

Source : AN-NAHAR
Date : 3-6-93
Photo No. : 319

في التطبيع تتساوى الجميع

يمكن بالتأكيد تصنّع اللامبالاة. ففي شهر ما بعد الهزائم صار كل شيء ممكنا، فسبحت المفاجآت السيئة قاعدة الحياة اليومية، حتى استحال انتظار الاعظم قدراً. وليس ادل على ذلك سوى غياب ردود الفعل الرنانة على المبادرة الليبية (او الليبية - المصرية؟) في جل العواصم العربية، وفي ما كان يسمى يوما الشارع العربي.

لا شك ايضا ان شخصية صاحب المبادرة لا بد من هذه اللامبالاة الظاهرة. فالارجح ان القذافي لم يعد يقيم كبير اعتبار للعقيد القذافي. على العكس، كان دوما من الصعب جدا على محمل الجد، حتى بالنسبة الى من كان يخاف من كرمه، او من سذاجته. دائما كانت تلازمه السخرية. وكيف لا، فهو جعل من نفسه صورة كاريكاتورية لناصر صغير (صغير جدا). واليوم تصل السخرية الى ذروتها، عندما نرى من اراد نفسه مقلدا لجمال عبد الناصر يتحول صورة لا تقل كاريكاتورية عن سادات مصغر.

ولكن شرّ البلية ما يضحك. والشماتة لا تكمن في ما وصلنا اليه من انحطاط. فالمهم في الامر ليس ما تفصح عنه المبادرة الليبية من تحوّل نظام القذافي، بل ما تنبئنا به من صيرورة المنطقة العربية. وهنا لا مجال للسخرية او لموقف اللامبالاة.

واول ما تنبئ به هذه الخطوة هو ان السياسة العربية صارت تؤطرها اشكالية التطبيع مع اسرائيل، كما كان يقول لطفي الخولي منذ سنوات. لم يعد المحور الاساسي لها الصراع العربي - الاسرائيلي او حتى البحث عن السلام العادل والشامل، حتى لا نتحدث عن اشكالية الوحدة العربية، وهي التي ساهم القذافي نفسه في "بهدلتها" شر بهدلة.

وهيمنة اشكالية التطبيع تعني في النهاية ان البحث عن السلام صار تفصيلا. فمهما ان تعثّرت المفاوضات الثنائية طالما ان اسرائيل تستطيع جني ثمار التعنّت من دون ان تدفع اي ثمن.

وبهذا المعنى تأتي الخطوة الليبية لتلائم آثار المفاوضات المتعددة الطرف، حيث ادى اداء الحكومات العربية الى جعل التطبيع نقطة البداية في التسوية السلمية، لا نقطة النهاية.

ومن نافل القول ان هوية النظام المعني تلعب دورا في هذا المجال. فاللافت ان يلتقي عند نقطة التطبيع انظمة تنتمي، ولو تلفيقيا، الى التيار القومي مثل ليبيا واخرى تستمد من الاصولية الدينية قواعد حكمها كالسعودية.

بالطبع، قد يعتبر الاصوليون راديكاليون انهم غير مسؤولين عن هذا التحول في السياسة العربية. وقد ينجحون في اقناع الناس بذلك، وتاليا في الاستفادة من تهافت العقل السياسي العربي. لكن الخطوة الليبية تذكرنا ايضا بأن اللجوء الى الخطاب الديني لا يمنع بالضرورة الممادنة بل، على العكس من ذلك، يوفّر احيانا الحجج اللازمة للمساومة.

سمير قصير